الإسراء والمعراج

سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى

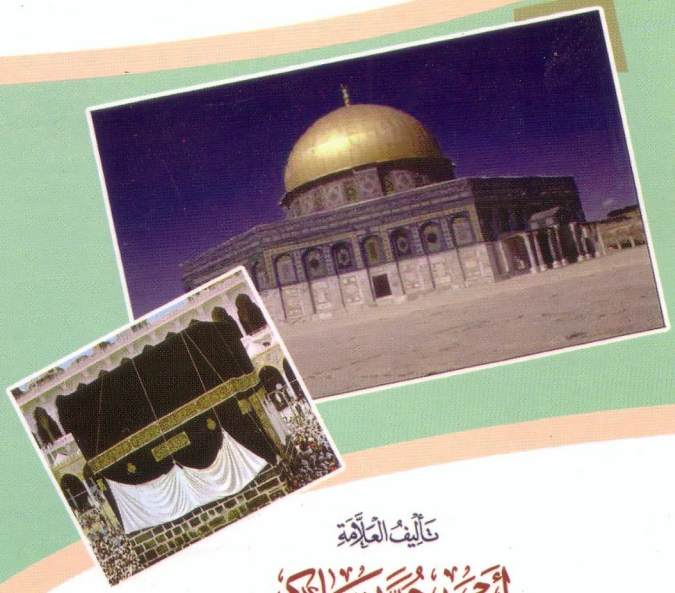

تأليف العلامة

أحمد محمد شاكر

رحمه الله

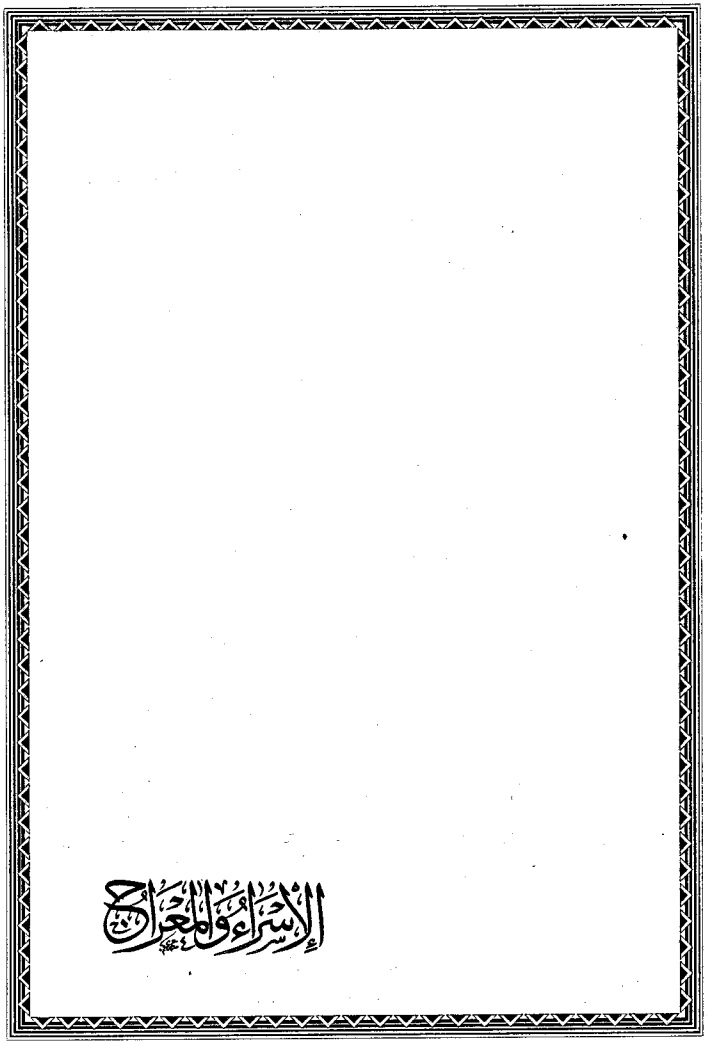
الإسراء والمعراج

بسم الله الرحمن الرحيم

حُقُوقُ الطَّبعِ مَحفُوظَةٌ

الطَّبعَةُ الأُولَى

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

رقم الإيداع: ٢٠٠٨/١٣٥٧٩م

الترقيم الدولي: ٩٧٧ - ٦٢١١ - ٦٢ - ٣

دار الآثار

٢٨ ش منشية التحرير - جسر السويس - عين شمس الشرقية - القاهرة - ج.م.ع

ت وفاكس: ٢٦٤٢٢٣٢٣ - ٢٦٣٦٣٧٨٦

الإسراء والمعراج

تأليف العلامة

أحمد محمد شاكر

رحمه الله

دار الآثار
للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء:١].

أيها السادة: يجتمع حفلنا هذا المبارك الليلة إشادة بذكرىٰ آية من أعظم آيات النبوة اختص الله بها عبده محمدًا ﷺ من دون سائر الأنبياء عليهم السلام، وأمره أن يصلي بهم في بيت المقدس، موطن النبوات الأولىٰ، وأمرهم أن يقتدوا به، تشريفًا لقدره وتعظيمًا، ولذلك كان يقول ﷺ: **«أنا سَيِّدُ ولدِ آدمَ يومَ القيامةِ ولا فَخْرَ، وبيدي لواءُ الحمدِ ولا فخرَ وما من نَبي يومئذٍ آدمُ فمَن سواه إلا تحت لوائي»**[1]، وإشارة إلىٰ عموم بعثته كما قال الله تعالىٰ في

(١) أخرجه الترمذي (٣١٤٨، ٣٦١٥)، وابن ماجه (٤٣٠٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٤٦٨).

كتابه الكريم: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [سبأ:٢٨]، وتعليمًا لأممهم وأتباعهم وأن يؤمنوا به ويصدقوه ويقتدوا به كما اقتدىٰ أئمتهم الأنبياء، ودخلت إمامتهم في إمامته إلىٰ يوم القيامة، فهو إمام الأئمة وهو الإمام الأعظم، فمن آمن به من أتباع الأنبياء فقد آمن بهم، ومن لَم يؤمن به فلم يؤمن بواحد منهم، ومصداق ذلك قول الله تعالىٰ: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [آل عمران:٨١]، وقول رسول الله ﷺ حين جاءه عمر بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه عليه: «**والذي نَفْسي بيده لو أنَّ موسىٰ كان حَيًّا ما وَسِعَه إلا أن يتبعني**»[1].

(١) أخرجه أحمد (١٤٧٣٦)، والدارمي (٤٣٥) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وحسنه الألباني في إرواء الغليل (١٥٨٩).

أيها السادة:

إن الإسراء والمعراج حادثان من أبرز الحوادث في السيرة المحمدية الشريفة وقد دُعِيتُ لأن أتحدث إليكم في شأنهما، وما أراني أهلًا لهذا المقام الخطير، ولكني على ثقة من إغضائكم عن قصوري وتقصيري عفوًا منكم وفضلًا.

والكلام في شأنهما يدور على أنحاء شَتَّىٰ من القول، أوقن أني عاجز عن الإحاطة بها واستيعابها، وحسبي أن أَقصِر قولي على النحو الذي أرجو أن يكون لي به علم، والذي أظن أنه لي به علم، شيئًا من الاختصاص، وهو البحث في إثباتهما من الوجهة التاريخية، وأعني بذلك الوجهة الحديثية؛ إذ إن نسبة أي قول أو فعل إلى النبي ﷺ مما يدخل على المحدِّث، وهو الذي يرجع إليه في إثباته أو نفيه، بعد تحديد موضوعات العلوم وخصوص كل صنف من العلماء بما أحسنوه من العلم.

والقواعد التي سار عليها علماء هذا الفن -فن الحديث-

هي أصح القواعد للإثبات التاريخي وأعلاها وأدقها، وإن أعرض عنها كثير من الناس وتحاموها بغير علم ولا بينة، بل إنَّا لنجد بعض الباحثين يعرضون لإثبات الأحاديث ونفيها بآرائهم وأهوائهم، فمهما رأوا من شيء نُسب إلى النبي ﷺ وكان موافقًا لرأي ينصرونه فهو الحديث الصحيح عندهم وإن كان مكذوبًا موضوعًا، ومهما رأوا من حديث صحيح ثابت وكان مخالفًا لما تنصره أهواؤهم، فهو الحديث الضعيف أو المكذوب وإن كان إسناده من أقوى الأسانيد وأصحها وأثبتها عند العارفين بها، ولعلهم لَم يقرءوا طول حياتهم إسنادًا صحيحًا أو ضعيفًا، ولَم يعلموا قليلًا ولا كثيرًا مما بذله علماء الحديث من الجهد في التحري والتوثق والتتبع لأحوال الرواية وألفاظ الأحاديث ومعانيها، وما ألفوا في ذلك من الدواوين الكبار والمعاجم الموسوعة من منتصف القرن الثاني للهجرة إلى أوائل القرن العاشر.

أيها السادة:

قد عُنِيَ المسلمون بحفظ أسانيد شريعتهم من الكتاب والسُّنَّة بما لَم تُعن به أمة قبلهم فحفظوا القرآن وروَوه عن رسول الله ﷺ متواترًا آيةً آيةً كلمةً كلمةً وحرفًا حرفًا، حفظًا في الصدور وإثباتًا بالكتابة في المصاحف، حتىٰ روَوا أوجه نطقه بلهجات القبائل، ورووا طرق رسمه في الصحف، وألفوا في ذلك كُتُبًا لو حدثتكم عن شيء منها لأخذكم العجب، ولعل بعضكم يكون أعلم بها مني.

وحفظ المسلمون أيضًا عن نبيهم كل أقواله وأفعاله وأحواله وهو المبلِّغ عن ربه والمبين لشرعه والمأمور بإقامة دينه، وكل أقواله وأفعاله بيان للقرآن، وهو الرسول المعصوم والأسوة الحسنة، اسمعوا قوله تعالىٰ في صفته: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم:٣-٤]، وقوله: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل:٤٤]، وقوله

أيضًا: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب:٢١].

وقد كان عبد الله بن عمرو بن العاص يكتب كل شيء يسمعه من رسول الله ﷺ فنهته قريش فذكر ذلك للرسول فقال: «**اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا حَقٌّ**»(١).

ففهم المسلمون من كل هذا أنه يجب عليهم أن يحفظوا عن رسولهم كل شيء وقد فعلوا وأدَّوا الأمانة على وجهها، ورَوَوا الأحاديث عنه، وبعضها متواتر، إما لفظًا ومعنىً، وإما معنىً فقط، وبعضها مشهور، وبعضها بالأسانيد الصحيحة الثابتة مما يُسَمَّىٰ علىٰ قواعد المصطلح: الحديث الصحيح والحديث الحسن، ولَم يحتجوا في دينهم بغير هذه الأنواع التي لا يُعارِض فيها إلا جاحدٌ أو مكابر.

وقد بيَّن الإمام الحافظ أبو محمد بن حزم هذه الأنواع في

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٤٦)، وأحمد (٦٤٧٤)، والدارمي (٤٨٤)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٥٣٢).

كتاب «**الملل والنحل**» وقال عن النوع الأخير -المسمىٰ عند علماء المصطلح بالآحاد-: إنه هو ما رواه الثقة عن الثقة كذلك حتىٰ يبلغ إلىٰ النبي ﷺ، يخبر كل واحد منهم باسم الذي أخبره ونسبه، وكلهم معروف الحال والعين والعدالة والزمان والمكان علىٰ أن أكثر ما جاء هذا المجيء فإنه منقول نقل الكواف، إما إلىٰ رسول الله ﷺ من طرق جماعة من الصحابة رضي الله عنهم، وإما إلىٰ الصاحب، وإما إلىٰ التابع، وإما إلىٰ إمام أخذ عن التابع يعرف ذلك مَن كان مِن أهل المعرفة بهذا الشأن، والحمد لله رب العالمين.

وهذا نَقْلٌ خص الله تعالىٰ به المسلمين دون سائر أهل الملل كلها، وأبقاه عندهم غضًّا جديدًا حديثًا علىٰ قديم الدهور منذ أربعمائة وخمسين عامًا، في المشرق والمغرب والجنوب والشمال يرحل في طلبه من لا يحصي عددهم إلا خالقهم إلىٰ الآفاق البعيدة ويُواظب علىٰ تقييده، قد تولَّىٰ الله تعالىٰ حفظه عليهم والحمد لله رب العالمين، فلا تفوتهم زلة في كلمة فما

فوقها في شيء من النقل إن وقعت لأحدهم، ولا يمكن فاسقًا أن يُقحم فيه كلمة موضوعة، ولله تعالىٰ الشكر.

أيها السادة:

هذه صورة مصغرة، بل لمحة خاطفة، علىٰ المجهود الهائل الذي بذل سلفنا الصالح -رضوان الله عليهم- للمحافظة علىٰ آثار نبيهم ﷺ طاعة لما أمر به أصحابه في حجة الوداع: «**ألا فليبلغ الشاهد الغائب، فربَّ مبلغٍ أوعَىٰ من سَامعٍ**»[1]، أفيجوز بعد ذلك لكل من ركب رأسه، وأعجبه عقله، ورضي عن نفسه، أن يقول هذا حديث صحيح وهذا حديث غير صحيح؟ أوَلَا يعلم أنه حين يرد حديثًا صحيحًا -إما بنفي ثبوته، وإما بتأويله عن غير وجهته- يرمي رجالاً من الثقات الأثبات والعلماء الحافظين، بأنهم كاذبون أو جاهلون وهو لا يعرف شيئًا من أخبارهم ولا أحوالهم، وإنه إنما يرميهم في دينهم وأمانتهم

(١) أخرجه البخاري (١٧٤١)، ومسلم (١٦٧٩) من حديث أبي بكرة ﷺ.

وصدقهم، وأنه حين يرضىٰ عن حديث مفترىٰ فيزعم أنه صحيح ثابت؛ يشارك من افتراه في فريته ويدخل تحت قوله ﷺ: «**مَنْ حَدَّثَ عَنِّي بحديثٍ يُرَىٰ أنه كَذِبٌ فهو أَحَدُ الكَذَّابين**»[1].

أيها السادة:

أرجو أن تعذروني إذا أطلت القولَ في ذلك، فإنه بسبيل مما نعرض من إثبات حديث الإسراء والمعراج، ولأن الجرآء من الناس استرسلوا في العبث بالسنة الشريفة عَدْوًا وبَغيًا.

فلم يكتفوا بتكذيب الرواة الثقات والأئمة الأثبات، بل زادوا عدوانًا وطغيانًا، اجترءوا علىٰ تكذيب بعض أصحاب رسول الله -عليه الصلاة والسلام- وهم رسله إلىٰ مَنْ بعدهم، والأمناء علىٰ دينه وشريعته، وهم الذين أثنىٰ الله عليهم في القرآن بما لَم يُثنِ علىٰ غيرهم من أصحاب الأنبياء، وهم السابقون المقربون -رضي الله عنهم ورضوا عنه-.

---

(١) أخرجه مسلم في المقدمة (ص٧)، والترمذي (٢٦٦٢)، وابن ماجه (٣٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦١٩٩).

أيها السادة:

إن حديث الإسراء والمعراج من الأحاديث الثابتة الصحيحة، وقد جاء بروايات كثيرة متواترة، منها المطول ومنها المختصر، ألفاظ مختلفة، وكلها تدل في مجموعها على صحة هذه الحادثة وعلى ثبوتها التاريخي، مما يسميه العلماء (التواتر المعنوي)، وقد ورد من حديث أنس بن مالك، ومن حديث غيره من الصحابة.

ونقل الحافظ ابن كثير في تفسيره (٥/ ٢٤٣) عن الحافظ أبي الخطاب عمر بن دحية، أنه ذكره من حديث أنس، ثم قال: وقد تواترت الروايات في حديث الإسراء عن عمر بن الخطاب، وعلي، وابن مسعود، وأبي ذر، ومالك بن صعصعة، وأبي هريرة، وأبي سعية، وابن عباس، وشداد بن أوس، وأُبي بن كعب، وعبد الرحمن بن قرط، وأبي حية، وأبي ليلى الأنصاريين، وعبد الله ابن عمرو، وجابر، وحذيفة، وبريدة، وأبي أيوب، وأبي أمامة،